

هيئة العزّابة ودورها في التصديّ لحملات التنصير "تعزيز الهوية الدينية والثقافية في المجتمع الميزابي"

The Azzaba Authority and its role in confronting Christianization campaigns "Strengthening religious and cultural identity in Mzab society"

ط.د. أحمد نعوم⁽¹⁾ * .د. فاطمة هارون⁽²⁾

⁽¹⁾ جامعة البويرة، مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، البويرة 10000، الجزائر، a.naoum@univ-bouira.dz

⁽²⁾ جامعة البويرة، مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، البويرة 10000، الجزائر، f.haroune@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2024/09/15؛ تاريخ القبول: 2025/07/19؛ تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ احتلالها للجزائر سنة 1830م على محاولة إذابة المجتمع الجزائري في الكيان الفرنسي، وإحكام سيطرتها عليه، فعملت على تنفيذ العديد من الإجراءات في مختلف الميادين من أجل إنجاح مخططاتها الاستعمارية، من بينها الميدان الديني محاولة نشر المسيحية عن طريق سياسة التنصير للقضاء على الهوية الوطنية والديانة الإسلامية، خاصة وأنّ المبشرين لقوا الدعم والسند من طرف السلطة الفرنسية، كما أنّهم وجدوا في الجزائر أرضا خصبة لبثّ دعوتهم مع انتشار الفقر والأمية. وهذا ما أدّى إلى بروز هيئات دينية في الجزائر وقفت بالمرصاد لهذه السياسة، ولعبت الدور المنوط بها في مواجهة كل ما يؤثر على الهوية الجزائرية، ومن بينها هيئة العزّابة التي كانت لها مواقف بارزة. في منع هذا المشروع مبرزة خطر التبشير المسيحي على المجتمع الجزائري عموما والميزابي خصوصا.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الفرنسي؛ هيئة العزّابة؛ التنصير؛ المجتمع الميزابي؛ سياسة التبشير.

Abstract:

Since the occupation of Algeria in 1830 AD, the French colonial authorities have tried to dismantle Algerian society and annex it to the French entity and to strengthen his control over it, he tried to implement many measures in various fields in order to make his colonial projects successful, including the religious field, trying to spread Christianity through a Christianization policy that aimed to eliminate the national identity and the Islamic religion; Especially since the missionaries enjoyed the support and backing of the French authorities and found in Algeria a fertile ground to spread their message with the spread of poverty and illiteracy, which led to the emergence of religious organizations in Algeria that were vigilant in confronting this policy, in preventing this project, highlighting the danger of Christian evangelism to Algerian society in general and Mزاب society in particular.

Keywords: French occupation; Azzaba body; Christianization; Mزاب society; missionary policy

المقدمة:

تعرّضت الجزائر لسياسة التنصير منذ الاحتلال الفرنسي لها، خاصة وأنّ الحملة الفرنسية كانت تحمل في طيّاتها أهدافاً تبشيرية، وتجلّى ذلك من خلال تصريحاتهم التي تظهر حقدهم على الدين الإسلامي والمسلمين، ولعب القساوسة والرهبان الذي جاؤوا مع الحملة الدور البارز في عملية التبشير، إذ عملوا على إحياء الروح الصليبية في نفوس الجنود الفرنسيين، ومن أبرز الناشطين في هذا الميدان الكاردينال لافيجري **Lavigerie**، الذي حرص أشدّ الحرص على نشر المسيحية في أوساط الجزائريين.

ولتحقيق هدفها في جعل المجتمع الجزائري مجتمعا نصرانيا، استعملت أساليب ووسائل مختلفة، وكرّد فعل لذلك ظهرت مقاومات فكرية وثقافية من هيئات دينية إسلامية عبر الوطن رافضة كلّ ما يمسّ بالهوية الجزائرية الإسلامية، من بينها هيئة العزّابة

التي قامت بدور مهم في توعية الشعب الجزائري من خطر المبشرين ودسائسهم، حيث دعت المجتمع إلى التفطن وعدم الانسياق وراء دعايات هؤلاء والوقوف في وجههم لأنهم يشكّلون تهديدا للإسلام والمسلمين في الجزائر.

لذلك ارتأينا دراسة هذا الموضوع لمعرفة إلى أي مدى ساهمت الهيئات الدينية بالجزائر بما فيها هيئة العزابة في المحافظة على الهوية الوطنية؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة تمّ الاعتماد على المنهج التاريخي والوصفي مع التحليل للتوصل إلى النتائج المطلوبة.

المبحث الأول: تعريف سياسة التبشير وهيئة العزابة

المطلب الأول: تعريف التبشير (التنصير)

الفرع الأول: تعريف التنصير لغة

ورد في الكثير من معاجم اللغة أنّ كلمة تنصير تعود إلى الفعل نصّر الذي اشتقاقه نصّره ينصّره تنصيرا أي جعله نصرانيا، ويقصد بذلك الدعوة إلى النصرانية⁽¹⁾، من بينها لسان العرب لابن منظور الذي ذكر أنّ التنصير يقصد به التنصّر الدخول في النصرانية، ونصّره أي جعله نصرانيا⁽²⁾، كما ذكر الفيروز الأبادي في القاموس المحيط أنّ: النصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصراني وأنصار وتنصّر دخل في دينهم ونصّره جعله نصرانيا⁽³⁾.

الفرع الثاني: تعريف التنصير اصطلاحا: فيرادف مصطلح التبشير التنصير، والمقصود به إرسال مبشرين ليبلغوا رسالات الإنجيل لغير المؤمنين به⁽⁴⁾، وهي عبارة عن

(1) محمد بن ناصر الشثري: الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، الطبعة الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2011م.

(2) جمال الدين محمد ابن منظور: لسان العرب، الطبعة 3، دار صادر، بيروت، ج5، 1994م، ص212.

(3) الفيروز مجد الدين ابادي : القاموس المحيط، الطبعة الثانية، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، 1371هـ/ 1952م، ج1، ص ص 143، 142.

(4) جمال حواسة: اساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية مقارنة سوسيو- تاريخية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة المسيلة، 2018م، عدد 14، مجلد 7، ص 351.

حركة سياسية استعمارية منظمة، تستخدم الدّين كغطاء لها، محاولةً إبعاد المسلمين وغيرهم عن دينهم وتعريفهم بالمسيحية، أو دفعهم إلى الإلحاد واللا دينية، وفق منهج مدروس باستخدام كافة الوسائل المعنوية والمادية في جميع مجالات الحياة⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: تعريف العزابة:

الفرع الأول: تعريف العزابة لغة

عَزَبَ يَعْزُبُ عَزُوبًا من العزوب كفعول مضموم العين، وجمعه عزاب وتفيد معنى تغيب الإنسان عن أهله، أو متاعه كما تفيد معنى العزوبة بالنسبة إلى من لم يتزوج، فيقال فيه: فلان عازب أو أعزب يقال عذب أي رجل عذب، ومعازبة الذي لا أهل له وامرأة عذبة، عذب: لا زوج لها. ورجلان عذبان والجمع، أعذب والعزابة الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء⁽⁶⁾.

وتوجد تعاريف أخرى منها: والعزابة جمع عزاب بفتح العين مأخوذة من عزب عن أهله انفرد عنهم، تعني العزلة، والغربة، والتهجد، سُمُّوا بذلك لانقطاعهم إلى الله لاشتغالهم بأمر دينه، والانقطاع إلى المصلحة العامة⁽⁷⁾.

الفرع الثاني: تعريف العزابة اصطلاحا

يقصد به العزوبة وهي الانفراد، وقد أطلقت على الذين انقطعوا عن الدنيا إلى الاشتغال بالدين علما وعملا، وفي هذا المعنى يقول أبو حيان في حق الخليل بن أحمد: عزوب من الدنيا وزهاتها وشوق إلى المولى⁽⁸⁾.

نظام العزابة أو هيئة العزابة أو حلقة العزابة كلها معاني تصبُّ في قالب ومعنى واحد، وتمثِّل مراحل تطور هذا النظام. وتعدُّ أعلى هيئة في المجتمع الإباضي، وهي تقوم مقام

(5) أمل عاطف محمد الخضري: التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزّة، 2004م، ص2.

(6) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، بيروت، 1988، ج2، ص85.

(7) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، الطبعة 1، الحلقة 01، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1384هـ/1964م، ص 97.

(8) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، ص 3، 4.

إمامة الظهور في مرحلة الكتمان عند الإباضية في المغرب الإسلامي⁽⁹⁾. وتتميز بالسُّلطة المطلقة في كل ما يتعلق بأمور الدين، وحتى الجانب التربوي والاجتماعي. وتعود بداية استعمال هذا المصطلح إلى عهد أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطاني (ت570هـ)⁽¹⁰⁾ مؤسس الحلقة⁽¹¹⁾ وواضع قوانينها في القرن 5هـ/11م⁽¹²⁾.

المبحث الثاني: الطرق والوسائل المستخدمة في عملية التبشير وإسهامات الأخوات والآباء البيض في نشر التنصير بميزاب

المطلب الأول: الطرق والوسائل المستخدمة في عملية التبشير

منذ أن وطأة أقدامهم الأراضي الجزائرية، عمل المبشرون الفرنسيون على تطوير أساليب ووسائل التبشير بالمسيحية من أجل استمالة الجزائريين.⁽¹³⁾ فمن بينها نورد:

الفرع الأول: التطبيب كأداة للتبشير

وكان الطب وسيلة فعالة للتبشير ونشر المسيحية، فتأسست العديد من الجمعيات الطبية، وعملت على تدريب الممرضات والأطباء لإرسالهم في بعثات إلى مستعمرات فرنسا،

(9) معجم مصطلحات الإباضية، الطبعة 01، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م، ج2، ص702.

(10) هو ابو عبد الله محمد بن بكر بن ابي بكر بن يوسف الفرسطاني النفوسي، ولد في فرسطاء الواقعة على احدى جبال نفوسة، شرق مدينة كاباو التابعة لنالوت سنة (345هـ/956م)، من عائلة عرفت بالعلم والتقوى والصلاح، فأبوه وجدّه من علماء نفوسة المشهورين، فقد ضيّت كتب الفقه في طياتها أقوالا لهما في مسائل متنوعة. انظر: الوسياني، ابو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان السير، تحقيق: سليمان بوعصبانة، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 2009م.

(11) معنى الحلقة لغة واصطلاحاً: الحلقة اسم لجماعة تشمل على الشيخ يعلمهم العلم، ويلقّنهم السّر، ويصيّرهم في الدين، بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم، يحصل البعض وإن أعياه الكل، (فإن لم يصبها وابل فطل)، فكأنهم ملحقون ولو أنّهم مفترقون، ويعني بها هيئة جلوس العزابة أو وصف نظامهم وقوانينهم أو الإشارة إلى مجالسهم، ينظر: الدرجيني: المرجع السابق، ص4.

(12) دليلة خبزي: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي مجلس (تمسريدين) النساء انموذجاً، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، كلية العلوم الاسلامية جامعة الجزائر 01، مجلد 6، عدد1، 1453هـ/2014م، ص403.

(13) خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص13، 14.

وذلك لأنَّ الطب مهنة نبيلة تهتم بمختلف فئات المجتمع وله مكانة هامة لدى عامة النَّاس لأنه يعالج الأمراض ويقلِّل الأوجاع والآلام⁽¹⁴⁾.

واعتمدت البعثات التبشيرية في الجزائر طريقتين للاهتمام بالمرضى: الأولى: الذهاب إلى بيوتهم وعلاجهم هناك خاصة فئة النساء والأطفال، والثانية: تشجيع المرضى الجزائريين على التداوي في المراكز الطبية للمبشرين، وذلك من خلال تسهيل إجراءات الولوج لهذه المراكز وتقديم الإغراءات⁽¹⁵⁾.

وذكر أنور الجندي: "أنَّ مشكلة التعليم والثقافة من أكثر المشاكل إلحاحا التي تواجه العالم الإسلامي، خاصة مع استشعاره لحجم حاجته إلى نهضة ثقافية بتوسيع مجال التعليم، فلقد أصبح المستعمر على علم بهذه المشكلة في حياة المسلمين واغتنموا محاولين تحقيق أقصى استفادة منها. وأعدَّ خطة تقوم على المسار الذي يضمن تغيير العقيدة الإسلامية والقضاء على مكُوناتها الأساسية من خلال التعليم"⁽¹⁶⁾، خاصة مع أهميتها كوسيلة أساسية للتبشير، حيث أنَّ الطفل منذ الصغر يشبه الأرض الخصبة والصفحة البيضاء التي يسهل التأثير عليها وغرس الأفكار المسيحية فيه، مما يسهِّل تهذيب الآراء المختلفة في نفسه. ويثبت له ميوله ومعتقداته فيتأثر بها⁽¹⁷⁾.

ولتحقيق ذلك، بدأت الإرساليات التبشيرية في الجزائر بإنشاء المدارس، مع التركيز في البداية على الأيتام وأبناء الفقراء، وجذبهم وإغرائهم بالمدارس التعليمية عبر وسائل مغرية، مثل تقديم الهدايا المتنوعة والحلويات والأموال والترفيه⁽¹⁸⁾.

(14) بن عمر الحاج موسى، الجعدي رضوان: التطبيب التنصيري في مزاب في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وموقف السكان منها، مجلَّة البحوث التاريخية، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر، الجزائر، 2024م، المجلد 08، العدد 01، ص 456.

(15) محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904، منشورات دحلب، الجزائر، 2009، ص 27.

(16) أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، الموسوعة العربية الإسلامية، ط 02، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ج 4، ص 333.

(17) محمد عبد الرحيم الزيني: الاستشراق والتنصير: رؤية موضوعية مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان، 2010، ص 338.

(18) بن عمر الحاج موسى، الجعدي رضوان: مرجع سابق، ص 465.

المطلب الثاني: إسهامات الآباء والأخوات البيض في منطقة وادي ميزاب

اهتم الآباء والأخوات البيض بالتطبيب بموجب وصية الكاردينال لافيغيري Lavigerie، لأنَّ هذا الأسلوب له تأثير في نفوس المرضى، إذ كان لهم دور كبير في محاولة نشر النصرانية.

الفرع الأول: دور الأخوات البيض في التطبيب

بدأت الأخوات البيض في التمريض فور وصولهن إلى غرداية من خلال افتتاح عيادة صغيرة، وذلك سنة 1892م، فقامت كل من الأم جوزفين Josephine والأخوات لويز سانت لوك Louis Saint-Luc و كلوتيلد Clotilde وبدأن بممارسة التطبيب في منزلهن بحي العفافة، وبعد سنة افتتحوا محلاً لتعليم الخياطة لفتيات الحي⁽¹⁹⁾، وبعد ما يقارب عامين، عاشوا في منشأة بنيت خصيصاً لهنَّ في المستشفى المختلط قبل اكتماله بحي تيضفت، وعندما بنى المستشفى بادرن في نشاطهنَّ كطبيبات معالجات، فاستطعن تعميم حوالي 150 طفل نظراً لسهولة ولوج مساكن الميزابيين مقارنة بالآباء البيض، كما مُنح لهنَّ منزل سنة 1903م في واحات غرداية من أجل مواصلة نشاطهن مع الميزابيين الذين يرحلون صيفاً إلى بساتينهم للإقامة فيها فأدَّى ذلك إلى استياء السكان، كما كانت مهمة المبشّرات في الاتصال بالأطفال والنساء قوية لسهولة الوصول إليهم، حيث كنَّ يعملن على التجول في المدينة ويلجئن مساكن الميزابيين ويتحاوَرْنَ مع النساء من أجل إقناعهن لدفع أبنائهن إلى مدارس الآباء البيض، إضافة إلى تقديم الحلوى للأطفال وعلاجهم⁽²⁰⁾.

الفرع الثاني: إقامة مراكز للآباء البيض في ميزاب

بعد استقرار الآباء البيض في مدينة غرداية⁽²¹⁾، قاموا ببناء مدرسة تعليمية للأطفال الميزابيين، إلّا أنَّها لم تعرف قبولا كبيرا، وبعد حصولهم على قطعة أرض بالقرب من الحي اليهودي أنشأوا مركزاً لهم سنة 1888م، وتمكنوا من جلب أطفال المنطقة إلى مدارسهم بالقوة أحياناً، وذلك بمساعدة السلطة العسكرية التي حافظوا معها على علاقات وثيقة،

(19) بن عمر الحاج موسى، الجعدي رضوان: المرجع السابق، ص 478-

(20) 480. نفسه،

(21) Dahbia Abrous, la Société des Missionnaires d'Afrique à l'Epreuve du Mythe Berbère kabyle- Aurès -Mzab, Edition Peeters, Paris, 2007, p88

وتزايدت مهمة الآباء خاصة بعد سيطرة السلطات العسكرية على واحة الضاية المتواجدة في مدخل غرداية في الجهة الشمالية الغربية، حيث قاموا بشراء بستان ليتقربوا أكثر من السكان الذين ينتقلون صيفا إلى بساتينهم، وهكذا تمكّنوا بمنطقة وادي ميزاب من امتلاك بستانا وثلاث قطع أرضية لتصبح مقرات لنشر تنصيرهم في الصحراء⁽²²⁾.

المبحث الثالث: دور هيئة العزابة واستراتيجيتها في مواجهة الاستعمار الفرنسي وسياسته التبشيرية

المطلب الأول: دور هيئة العزابة في التصدي لسياسة التبشير في منطقة ميزاب

استمر التصدي لسياسة الاستعمارية الفرنسية وإجراءاتها في منطقة ميزاب تحت تسيير وإشراف هيئة العزابة⁽²³⁾، والتي كان لها دور بارز في مواجهة سياسة التنصير التي أقامتها فرنسا في المنطقة، حيث عمل المبشرون على إقامة مراكز للأخوات البيض لأجل تكوين الفتيات حرفيا وتكوين المرأة الميزابية في الميادين الضرورية كالأعمال المنزلية والتمريض والخياطة، وكان من وراء كل ذلك قصد يتمثل في نشر المسيحية، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل بسبب الإجراءات التي اتخذتها هيئة العزابة ضدها، منها إصدار فتاوى من طرف هيئة العزابة تحرم التعامل مع الأجنبي، وعملت هيئة تمسريدين على الاهتمام بشؤون المرأة فلم تعطي أي فرصة لمركز الأخوات البيض في النفوذ داخل أوساط النساء الميزابيات، وذلك بإشرافها على تعليم المرأة وتكوينها دينيا وحرفيا، ويتجلى ذلك من خلال المنتجات مثل نسج الملابس والسجاد من قبل النساء الميزابيات خلال تلك الحقبة⁽²⁴⁾.

المطلب الثاني: استراتيجيات العزابة في مواجهة الاستعمار الفرنسي وسياسته التنصيرية

يعتبر مجلس هيئة العزابة في ميزاب بمثابة السلطة التي تبث القرارات في المنطقة،

(22) بن عمر الحاج موسى، رضوان الجعدي: مرجع سابق، ص 471.

(23) حمو محمد عيسى النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015م، ج 1، ص 318.

(24) قرنا ب عبد الرؤوف: جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2014، ص 138.

والتي واجهت تحديات كثيرة في تلك المرحلة، فقامت بتنظيم المجتمع المزابي ومراقبته وحل جميع مشاكله وحمايته وحفظه كمجتمع مترابط⁽²⁵⁾، ومنع السموم الاستعمارية التي تحاول فرنسا نشرها داخله، فانتهجت من أجل ذلك ما يلي:

الفرع الأول: إصلاح التعليم وتعزيز الوعظ والإرشاد

وقد سعت هيئة العزابة إلى تقديم الكثير من النصائح والإرشادات، ومحاربة الفساد والفاستدين والدعاة إلى الإلحاد، ومما سهّل ذلك بقاء المساجد تحت قيادة المزابين، حيث كانت مكاناً للإصلاح وضبط المجتمع، حيث عمل أعضاءها الذين جُلبوا من الشخصيات المثقفة والمصلحة، على تكثيف المواعظ، واهتم المجتمع المزابي كثيراً بحضور تلك الدروس والحلق، نتيجة تأثير مشايخ العزابة فيهم، وذلك لما يتمتعون به من علم وتقدير الناس لهم⁽²⁶⁾.

ومن أمثال هؤلاء نجد الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى الذي كان عضواً في مجلس هيئة العزابة والذي يقول في إحدى مقالاته: "بأنّ أوروبا قامت بإرسال موادها السامة وغازاتها الخائقة إلى البلدان الإسلامية، محاولة تشويه روح الإسلام وطمس معالمه وذلك بتخدير المسلمين وجعلهم لا يشعرون بخطر المستعمر على دينهم وعلى أنفسهم وعلى بلدهم، والذي يهدف إلى محو الهوية الوطنية والدينية"⁽²⁷⁾.

كما كشف الشيخ أبو اليقظان عن الأساليب المختلفة التي تستخدمها الدول الأوروبية بشكل عام وفرنسا بشكل خاص، من أجل إحلال المسيحية بدل الإسلام بالقضاء عليه، وأوضح أنّ فرنسا لم تدع شيئاً إلاّ وهاجمت الإسلام بواسطته وحاربتة بكلّ ما أوتيت من قوة، بالمكر والخداع والسياسة والمكائد والتخريب وأسلحة الدمار والتدمير، ووزّعت الجمعيات التبشيرية في مناطق مختلفة، وشجّرها بالحمام الزاجل حامل رسائل النصرانية ظاهرياً والاستعمار باطنياً، ودعمها بكل ما تملك من مال وقوة لإفساد عقيدة المسلمين⁽²⁸⁾.

ما دفع الشيخ إلى معارضة هذه السياسة، فبدأ يحذر المجتمع الجزائري المسلم من عواقبها الخطيرة، مؤكداً ضرورة التصدي له ومكافحته من أجل القضاء عليه وحماية

(25) النظام الاجتماعي بوادي ميزاب، جريدة وادي ميزاب، السنة 03، العدد 109، نوفمبر 1948.

(26) نفسه، ص 212.

(27) أبو اليقظان، "الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون"، وادي ميزاب، ع 17، (21/07/1927م).

(28) نفسه.

الهوية الوطنية، وذلك بالحفاظ على مبادئ الأمة العربية والإسلامية، وقد تمثلت مواقف الشيخ في مواجهة سياسة التنصير بإدانة مكائد المبشرين وفضحها، باعتبارهم الساعد الأيمن للمستعمرين الفرنسيين، فكان ينشر مقالات في صحيفة وادي مزاب تركّز على الإسلام والمسلمين وتندّد بتصرفات الآباء البيض، ويقوم بدعوة الشعب الجزائري إلى صون الإسلام ومواجهة التنصير والبعثات التبشيرية، كما كشف الشيخ عن الطرق والوسائل التي اعتمد عليها المبشّرون في تنفيذ مشروعاتهم الدعوي، فخطب المبشرين بكل قوة، قائلاً لهم: "كفوا عنّا أيها المبشّرون إذائتكم وإفساد ديننا وأخلاقنا باسم التعليم والتطبيب... دعونا من تعليمكم وعلموا أنفسكم وداووا أنفسكم، فقد أغنانا الله عنكم وعن تعاليمكم بالإسلام⁽²⁹⁾.

كما عمل الشيخ أطفيش شيخ عزابة بني يزقن على تشديد لهجته وإحكام قبضته بالتصديّ للسياسة الاستعمارية، محارباً الخرافات والبدع والسموم التي يبيثها، وعُرف الشيخ في مختلف نواحي منطقة ميزاب، ويتجلى ذلك في الدروس والحلقات التي نظّمها ودعا فيها إلى التحذير من خطورة هذه السياسة، وتعزيز عزيمة الشعب، ودفعه إلى كراهية الاستعمار والتربية على التمسك بالهوية الوطنية ديناً ولغة⁽³⁰⁾.

إلى جانب الشيخ إبراهيم بيوض، شيخ العزابة بمدينة القارة، الذي اهتم بتوعية المجتمع على التشبُّت بدينه ولغته، حيث كانت تشدُّ الرحال في الأعياد والمناسبات لحضور خطبه ودروسه، وكان يدعو إلى التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى هؤلاء المشايخ نجد أيضاً كل من الشيخ الحاج عمر بن يحيى والشيخ الحاج بكير العنق في القارة والشيخ إبراهيم الإبريكي الذين نافحوا عن الوطن والدين الإسلامي ووقفوا في وجه سياسة التنصير⁽³¹⁾.

الفرع الثاني: نظام البراءة (التبريت)

لقد اعتمدت هيئة العزابة هذا المنهج لحماية المجتمع المزابي من التأثيرات الخارجية

(29) أبو اليقظان: "يتقمصون في تبشيرهم بوادي ميزاب"، ع 76، (1928/3/30)

(30) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ج 3، ص 332-

334.

(31) ناصر محمد الصالح: مرجع سابق، ص 325.

ودفعه ليصبح أكثر تماسكاً، فقد أشار الكاتب لتفسيكي **Lutfisky** إلى ذلك بقوله: "إلا أن سهر العزابة على تطبيق تعاليم المذهب الإباضي باستعمال البراءة في الحالات الخطيرة، جعل سلطة مجلس العزابة لا تزال دائماً جد كبيرة، وتملك الوصايا على جميع المواطنين الإباضيين بميزاب، ويبقى المجلس هو الهيئة الدينية والروحية العليا للميزابيين، لذلك شددت في استعمال هذا المنهج إبان فترة الاحتلال الفرنسي حفاظاً على المجتمع"⁽³²⁾.

ويعدُّ منهج البراءة سياسة رادعة تؤثر في نفوس العصاة، وفي حال ثبتت على أي منهم تهمة يتم التبرأ منه ويمنع من حقوقه المدنية، ويصبح منبوذاً في المجتمع، فإذا كان تاجراً لا يشتري منه وكل مخالف لهذا الأمر يتبرأ منه، ويتم ذلك باجتماع ممثلي مجلس العزابة بعد كل صلاة جماعة إذ يعلن الشيخ البراءة في الشخص المنحرف ويذكر اسمه ونوع الجريمة⁽³³⁾.

ويعتبر المنهج أكثر العقوبات في المجتمعات الميزابية، باعتبار أن الفرد يحب أن تكون له مكانة محترمة في أهله ومجتمعه، فهذا المنهج يجعل الفرد مذموماً ومرفوضاً في أوساط العائلة والمجتمع، مما يدفعه ليعلن توبته لكي يصبح بريئاً من فعلته⁽³⁴⁾. وكثيراً ما قام مجلس العزابة بالتبرئة من كبار الموظفين الميزابيين كالقضاة ورؤساء بعض البلديات الذين عينتهم فرنسا، مما دفعهم إلى الإسراع في طلب العفو متوجهين نحو المساجد، حيث اعتبروا أنفسهم صغاراً ومنبوذين رغم وقوف فرنسا إلى صقهم⁽³⁵⁾.

الفرع الثالث: إرساء وتطوير المعاهد والمؤسسات التعليمية الحرة في بني ميزاب

إنَّ الجهود المبذولة من طرف رجالات هيئة العزابة ساهمت في إفشال المخططات الاستعمارية للقضاء على الهوية الميزابية المتمثلة في الدين واللغة والعادات والتقاليد⁽³⁶⁾.

(32) شهبي عبد العزيز: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، الجزائر، 2007، ص 189.

(33) صالح بن عمر أسماوي، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر، 1986، ص 137.

(34) ناصر محمد الصالح، منهج الدعوة عند الاباضية، دار ناصر، الجزائر، 2008، ص 330.

(35) دبوو محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 202.

(36) دبوو محمد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 332.

بإقامتهم للمدارس والمعاهد في مختلف مناطق وادي ميزاب كالكثائب أو المحاضر (جمع محاضرة) التي تنتمي للمساجد وكانت عبارة عن مدارس ابتدائية في تلك المرحلة، وأقيمت دار التلميذ فكان يدخلها كل من يستذكر القرآن الكريم، وتسعى جاهدة إلى توفير العلوم الدينية واللغة العربية والمتون، كما استمر الإصلاح مع إصلاح التعليم، وفي ذلك أوضح الدكتور محمد ناصر أنَّ النهضة الإصلاحية خاصة عقب الحرب العالمية الأولى، أدت إلى استبدال الكثائب القديمة بالمدارس الحرة المنظمة، والتي كان لها جمعيات خيرية تشرف عليها هيئة العزابة في أغلب الأحيان، وتم إنشاء الكثير من المعاهد في المناطق التابعة لبني ميزاب لاستكمال الطلبة للتعليم الثانوي بها، من بينها معهد الشيخ أطفيش حيث كان الإقبال عليه كثيراً لازدهاره، إضافة إلى فتح معهد على يد شيخ العزابة في غرداية أبي بكر بن الحاج مسعود، ومعهد الشيخ الابريكي في القارة، ومعهد الحياة الذي افتتحه الشيخ بيوض بالقارة⁽³⁷⁾.

فكل هذه المعاهد تم تأسيسها عن طريق مشايخ العزابة الذين نهضوا بالمجتمع وأدخلوا إصلاحات كثيرة بإدماج مواد جديدة مواكبة لتلك الفترة، وإيفاد بعثات تعليمية للطلبة الميزابيين إلى تونس والمشرق العربي، والهدف من ذلك كله هو إعداد رجال ينافحون عن هذا الدين وهذا الوطن للتخلص من براثن الاستعمار، وأكبر دليل على نجاح حلقة العزابة هو القضاء على الأمية في ميزاب، ففي المساجد يتعلم الأبناء مبادئ الكتابة واللغة العربية ويحفظون القرآن الكريم، فالنجاح في القضاء على الأمية حلم كبير عجزت النظريات الحديثة عن تحقيقه، واستطاع رجال العزابة ذلك، كما بذلوا جهوداً جبارة لحماية الإسلام، في وقت كانت الجزائر تتجرع فيه ويلات المكائد الاستعمارية⁽³⁸⁾.

خاتمة:

ومن خلال هذه الدراسة توصلنا أخيراً إلى مجموعة من النتائج، وهي كما يلي:

- أنَّ نظام العزابة يعتبر من أهم النظم الإصلاحية في وادي ميزاب من خلال

(37) نفسه، ص 86.

(38) إعوشة بكير ابن سعيد: وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية (دينيا، تاريخيا، اجتماعيا)، المطبعة العربية، غرداية، 1991، ص 06.

- النشاطات التعليمية والدينية والثقافية التي يقوم بها.
- قيام هيئة العزابة بتنظيم المجتمع الميزابي وتسييره حتى لا يتأثر بالسياسة التنصيرية التي انتهجتها فرنسا لكي يتخلّى عن دينه الإسلامي.
- قامت بالمحافظة على المجتمع الميزابي من الانحلال والتشتت بإبقائه مترابطاً.
- عملت العزابة على مواجهة ومنع كافة الأساليب المسيحية، والحفاظ على السكان من براثن المسيحية من خلال إنشاء المعاهد التي تتبع نظام تبرة التبريت، وزيادة دروس النصح والإرشاد، ونشر التعليم القرآني.
- حاولت فرنسا تنصير الجزائريين بفتح جمعيات خيرية ومدارس تعليمية.
- رغم محاولة سلطات الاستعمار الفرنسي محو الدين الإسلامي واللغة العربية، إلا أنّها لم تنجح بسبب مقاومة المجتمع الجزائري المستمرة التي قاومت كل الإجراءات والأساليب التي اعتمدتها فرنسا للقضاء على الهوية والشخصية الجزائرية.

المراجع:

المراجع العربية:

أولاً: الكتب:

- (1). ابن منظور جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 05، ط3، دار صادر، بيروت، 1994م.
- (2). آبادي مجد الدين الفيروز، القاموس المحيط، ج1، الطبعة 02، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1371هـ/ 1952م.
- (3). مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، الطبعة 01، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1429هـ/ 2008م.
- (4). الجندي أنور، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، الموسوعة العربية الإسلامية، ج 04، ط 20، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.
- (5). اعوشة بكير بن سعيد، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية (دينيا، تاريخيا، اجتماعيا)، المطبعة العربية، غرداية، 1991.
- (6). بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.

- (7). النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015.
- (8). دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج20، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
- (9). دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج03، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
- (10). الزيني محمد عبد الرحيم، الاستشراق والتنصير: رؤية موضوعية مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان، 2010.
- (11). ناصر محمد الصالح، منهج الدعوة عند الإباضية، دار ناصر، الجزائر، 2008م.
- (12). الشثري محمد بن ناصر، الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، ط01، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2011م.
- (13). شهي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، الجزائر، 2007.
- (14). وعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904، منشورات دحلب، الجزائر، 2009.
- (15). الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان السير، تحقيق: سليمان بوعصبانة، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 2009م.
- (16). معمر علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، الطبعة 01، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1384هـ/1964م.

ثانيا: الرسائل والمذكرات:

- (1). أسماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر، 1986.
- (2). عاطف محمد الخضري أمل: التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، 2004م.
- (3). قرنا ب عبد الرؤوف: جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير ابان الاحتلال الفرنسي 1830-1962، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2014م.

ثالثا: المقالات:

- (1). أبو اليقظان، "يتقمصون في تبشيرهم بوادي ميزاب"، ع 76، (1928/3/30)
- (2). ابو اليقظان، "الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون"، وادي ميزاب، العدد 17، (1927/07/21).
- (3). بن عمر الحاج موسى، الجعدي رضوان، التطبيب التنصيري في مزاب في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وموقف السكان منها، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 08، العدد 01، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر، الجزائر، 2024م.
- (4). بن رحال يامينة، اهتمامات جريدة وادي ميزاب اليقظانية بقضية التبشير وسياسة التنصير في الجزائر، مجلة المعيار، المجلد 27، العدد 02، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2023.
- (5). حواسة جمال، اساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية مقارنة سوسيو- تاريخية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 07، عدد 14، جامعة المسيلة، الجزائر، 2018م.
- (6). خبزي دليلة، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي مجلس (تمسيريدين) النساء أنموذجا، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد السادس، عدد 01، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 1435هـ/2014م.
- (7). النظام الاجتماعي بوادي ميزاب، جريدة وادي ميزاب، العدد 109، السنة 03، 1948.

المراجع الأجنبية:

- (1). Dahbia Abrous, la Société des Missionnaires d'Afrique à l'Epreuve du Mythe Berbère kabyle- Aurès -Mzab, Edition Peeters, Paris, 2007.